عسكر الانقلاب.. وصناعة الأزمات

الثلاثاء 14 أبريل 2020 12:39 م

استيقظ الناس على هول المشهد حينما تطايرت الأخبار بخروج الحشود من كل حدب وصوب ليمنعوا دفن طبيبة توفاها الله بعد أدائها مهمتها في مواجهة "كورونا"؛ خوفا على أنفسهم وذويهم من هذا الوباء، وتباينت ردود الفعل بين الاستهجان وعدم التصديق لما يحدث.

وإن كان هذا حدث من قبل لأمثال هؤلاء حينما رقصوا وغنوا "تسلم الأيادي" حينما قتل الجيش والشرطة والبلطجية الضعفاء في رابعة العدوية والنهضة والمنصة والحرس الجمهوري، بل وأريقت الدماء في كل شارع من شوارع مصر، وعلى الرغم من ذلك ظلت طائفة ترقص فرحا بما جرى، وغنوا "إحنا شعب وهم شعب".

لكن دعونا نقف وقفة مخالفة لما تناولته وسائل التواصل الاجتماعي والهجوم الشرس على أهل شبرا البهو مركز أجا دقهلية، خاصة بعد بيان وزارة الداخلية بحكومة الانقلاب؛ الذي خرج في نفس اليوم يتهم جماعة الإخوان المسلمين بأنهم من حرضوا الناس على التصدي لدفن الدكتورة المتوفاة، ولنتعرف كيف يصطنع العسكر الأزمات من أجل تثبيت دعائم أركانه.

حادثة شبرا البهو

توفيت إحدى الطبيبات في مستشفى العزل بالإسماعيلية بعد أدائها لمهمتها في علاج المرضى في هذا المستشفى قبل أن يصيبها الوباء اللعين، غير أن الوفاة عاجلتها بسبب تمكن المرض منها، وقام الفريق الطبي بتكفينها بما يعزز الجانب الطبي والحماية الصحية، واتجهت سيارة الإسعاف إلى بلدة زوجها فكانت المفاجأة خروج الأهالي يتصدون لسيارة الإسعاف من ولوج القرية لدفن الطبيبة، وحينما عادت إلى قريتها ومسقط رأسها رفض أهلها أيضا دفنها، فعادت السيارة مرة أخرى لبلدة زوجها، لكن الأمر كان قد احتدم، مما دفع قوات الشرطة للتوجه إلى القرية ومحاولة التفاوض مع الأهالي، وحينما لم تُجدِ نفعًا قامت بضربهم بالقنابل المسيلة للدموع لتفريق جمعهم ودفن الطبيبة المتوفاة.

ثم سارعت وزارة الداخلية – مدفوعة بتعاليم قائد الانقلاب – يساعده الإعلام التابع للعسكر بترويج اتهام أن من قاموا بالتصدي لدفن الطبيبة هي جماعة الإخوان المسلمين، وأنه تم القبض علي عدد منهم، وتناقلت الصحف هذه الأخبار وتداولتها المواقع الإخبارية التابعة لإعلام الانقلاب.

وقد مارس الإعلام المزيد من تغيب الوعي، والذي دفع بالناس لهذا الاعتقاد، فقد خرج علينا العديد من الصحف ومن وسائل الإعلام في بداية انتشار الوباء في مصر في فبراير 2020م بخبر أن دفن الأموات المصابين بـ"كورونا" بجوار الأحياء قد تصيب الأحياء بنسبة كبيرة جدا بهذا الوباء، مما جعل الناس يخافون من دفن الموتى أو استلام جثث ذويهم لدفنها كما حدث مع سيدة مستشفى النجيلة بمطروح.

هذا التصرف جعلنا نقف وقفه حول تسلسل الأحداث والأهداف المرجوة مما حدث.

لقد سقط العسكر القابضون على الحكم في الكثير من الأزمات مما كشف حقيقتهم للشعب المصري الذي نفض عن نفسه غطاء الخوف وخرج في مظاهرات 20 سبتمبر 2019م يطالبون برحيل العسكر عن حكم مصر بعد أن باعوا الأرض، وفرطوا في مياه النيل، وأفقروا البلاد، وقتلوا العباد في سيناء وفي كل مكان، مما أفزع العسكر خوفا على ما في أيديهم من سلطان وممتلكات، فكان لا بد من صناعة الأزمة التي تغيب وعي الناس – خاصة أن تاريخهم مشهود له بذلك – فكما كانوا يدسون وسط الناس من يلهب مشاعرهم ويؤجج النار في قلوبهم، لحشد الناس من أجل تنفيذ مخططهم كما فعلوا عام 1954م وكما فعلوا عام 1967م، أقدموا على فعل ذلك في قرية شبرا البهو حتى يحققوا أهدافهم، مثل:

1- زيادة تشويه صورة الإخوان وأنهم من منعوا دفن الطبيبة المتوفاة.

2- تشويه صورة الأطباء – خاصة بعدما نالوا احترام وتقدير الجميع في هذه الأزمة – مما أفزع رجال الجيش خوفا على تهاوي مكانتهم.

3- تصوير الشعب على أنه شعب منعدم الأخلاق وفقد كل معاني الإنسانية، فيستطيع أن يصدر هذه الصورة للشعوب الغربية – التي تستهجن هذه الصورة- فيتمسكوا بقائد الانقلاب في الحكم ليحميهم من هؤلاء الرعاء.

4- إلهاء الناس عن أزمة نقص الإمكانات والمستلزمات الطبية في الوقت التي تصدرها لدول الغرب لترضى عنه.

5- غرس بذور الكره والبغضاء بين أفراد الشعب، لا سيما جراء هذه التصرفات.

6- التغطية على الجرائم التي تحدث في السجون والمعتقلات، على الدعوات المطالبة بالإفراج عن المعتقلين.

ولقد نجح العسكر من صناعة أزمة بين الشعب وبينه، وبين الشعب بعضه بعضًا، في الوقت الذي خرج فيه يباهي أنني من احترمت الإنسانية وقامت الشرطة بفرض رأيها على الجميع في دفن الطبيبة المتوفاة.

تاريخ من الأزمات

لم تكن هذه الأزمة هي الأولى التي يقوم بها العسكر لتثبيت أركان حكمهم الانقلابي، فمنذ أن انقلبوا على الحكم في 23 يوليو 1952م وصناعتهم الأولى هي صناعة الأزمات للحفاظ على عروشهم.

فحينما تم انقلابهم في 1952 نادى الجميع بعودة العسكر إلى ثكناتهم وترك السلطة للمدنيين، غير أن قادة العسكر كان لهم رأي آخر؛ حيث كانت أهدافهم حينما نجحت الثورة أن يتحولوا عسكريين في زي مدني ويحكموا البلاد، ولذا كان لا بد من تخويف الناس من الديمقراطية والحكم المدني، فكان الانقضاض على دستور 1923م وإلغاء اللجنة التي شكلت لوضع دستور جديد للبلاد، ثم قاموا بفرض إعلان دستوري عسكري حتى وضعوا دستور عام 1957م.

كان لا بد من صناعة أزمة حقيقية للقضاء على المطالب التي تطالب بعودة العسكر لثكناتهم، خاصة أن هذه المطالب أجبرت العسكر على إعادة نجيب للحكم في أحداث مارس 1954م، فعمد عبدالناصر وحزبه إلى إيهام الشعب أن الثورة قد انتهت، وإثارة الخوف في نفوسهم من عودة البلاد إلى ما قبل الثورة وإلغاء قوانين العمل والضمانات الجديدة، بالإضافة إلى عموم الفساد مرة أخرى. كما كان لعبد الناصر رغبة خبيثة في إثارة الغضب بنفوس الضباط، حيث إن تحققت الديمقراطية سيخسرون مناصبهم وامتيازاتهم الجديدة.

فخرج الشعب بتوجيه من "هيئة التحرير" في يوم 28 مارس رافعين شعار "لا للديمقراطية"، لينجحوا في تنظيم الإضراب والاعتصام الأضخم منذ عام 1919. لتتحول الديمقراطية إلى صفعة على وجه نجيب وأنصارها.

والمثير للاهتمام أن إضرابات العمال واعتصاماتهم - وما لحق بها - كان من تخطيط المخابرات الحربية وعبد الناصر، فكانت المنشورات تطبع بها ويتم توزيعها على مختلف الأفراد، بالإضافة إلى وجود تابعين لعبد الناصر في كل الأماكن للتشجيع على المطالبة ببقاء الثورة، وأن أوان الديمقراطية لم يجن بعض.

فكانت تلك المظاهرات هي القشة التي قصمت ظهر فرصة تحقيق المسار الديمقراطي في مصر، كما صحبها حلّ الأحزاب السياسية بحجة التطهير، وفض اعتصام عمال كفر الدوار بالقوة بعد الثورة بأيام، وإعدام مصطفى خميس ومحمد البقري على إثره، كما امتد الأمر إلى القضاء على دور الطلاب السياسي، بالإضافة إلى الهجوم على مجلس الدولة وضرب رئيسه المستشار عبدالرازق السنهوري، انتهاء بتوجيه ضربة للإخوان ومحمد نجيب عام 1954؛ حيث لم يكن القضاء على الديمقراطية التي تبناها مجلس الثورة بعقلها المدبر جمال عبد الناصر، إلا وسيلة لسيطرة الملك على رقعة الشطرنج من خلال عساكره المتعددة. كما ذكر أحمد أبوالفتح في كتاب جمال عبدالناصر، وكما ذكر العديد من الضباط الأحرار في مذكراتهم.

لم تكن هذه المرة الوحيدة التي تشهد صناعة الأزمات من قبل العسكر لإحكام السيطرة على مفاصل الدولة، بل ظل عبدالناصر بين الحين والآخر يصطنع أزمة لكي يطيح بأحد رفقاء الثورة الأقوياء لخوفه من أن يحبه الشعب فأطاح بخالد محيي الدين ويوسف صديق ثم صلاح وجمال سالم، ثم عبداللطيف البغدادي، بل سجن زميله كمال الدين حسين وترك زوجته تموت حينما بعث له برسالة عام 1965م يقول له فيها: "اتق الله".

وحينما وقعت هزيمة 1967م كان لا بد من اصطناع أزمة حتى لا تفلت البلاد من زمامه، فأوعز لأتباعه بتحريك الناس للتمسك به، والذي وصفه محمد حسنين هيكل في كتابه "الانفجار"، مشيرا إلى خروج الملايين في شوارع مصر والعالم العربي فور خطاب جمال عبدالناصر الذي أعلن فيه تنحيه عن الحكم يوم 9 يونيو 1967، وإسناد الرئاسة إلى زكريا محيي الدين، وتحمله مسئولية نكسة 5 يونيو 1967.

فخرجت المظاهرات تطالبه بالعودة وعدم ترك الحكم، حتى إن زكريا محيي الدين عرف أن مظاهرات في الشوارع تهتف ضده وتطالبه بألا يقبل ما كلف به، وإلا فهو أمام الناس خائن، حتى جاءت رسالة عبدالناصر لمجلس الأمة التي أظهرت الحقائق: إن الكلمات تضيع مني وسط زحام من المشاعر يملك عليَّ كل جوارحي، وأقول لكم بأمانة، وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر أنني مقتنع بالأسباب التي بنيت عليها قراري، وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لي أمر لا يرد، ولذلك استقر رأيي على أن أبقى في مكاني وفى الموضع الذي يريد الشعب مني أن أبقى فيه حتى تنتهي الفترة التي نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان.

وبعدها بسنوات قليلة ذهب عبدالناصر إلى مثواه الأخير ليتبوأ مكانه عسكري آخر ليستكمل الأزمات ضد الشعب لكي يحتفظ بكرسيه، وقد ساعده على تثبيت دعائم حكمه الامتيازات الكثيرة التي أنعم بها على العسكر، فكانت الأزمات بين المسلمين والأقباط، وإشغال الناس بقضية عزل البابا شنودة، ثم أحداث الفوضى في الزاوية الحمراء، بل وصناعة الأزمات في خطاباته ضد المعارضين.

لم يكن عصر مبارك بعيدًا عن فكرة صناعة الأزمات وإشغال الناس بها، لكن منذ أن تولى الحكم بعد وفاة السادات وضع منهجية لهذه الأزمات التي تشغل الناس، فوضع سياسة إلهاء الناس حتى لا يطالب أحد بحقوقه، فشغلهم بلقمة العيش وكيفية تدبيرها والسعي عليها.

ثم كانت التفجيرات التي ملأت أنحاء البلاد ليظل قانون الطوارئ مسلطًا على رقاب الناس، ثم جاءت فكرة التوريث التي شغلت الجميع، سواء في المؤسسات الرسمية أو الشعبية.

وهكذا كانت سياسة المجلس العسكري فترة ما بعد الثورة، والذي ملأ أركان البلاد بشتى الأزمات والانشقاقات، بلغت ذروتها بعدما انقلب الخائن عبدالفتاح السيسي على الحكم، ليصبح الشعب المصري منقسمًا بين مؤيدي السيسي وجموع الشعب المصري، بلغت بهم حد أن وصفوا الأمر بأنهم "شعب" والآخرين "شعب".

لقد أطلق العنان لأجهزته لخلق أزمات للتغطية على فشله في جميع الملفات، سواء الداخلية أو الخارجية، وأن جميع الشعب أصبح يعي ما يقوم به، ولذا لجأ لإحداث أزمات بين طوائف المجتمع بعضهم بعضًا، وهو ما يجعلنا نقول إنه كان خلف ما حدث في قرية شبرا البهو، مع التأكيد أننا لا نعفي الأهالي مما حدث الآن ولا وقت أن رقصوا على أغنية "تسلم الأيادي" فعدد من الأهالي مبارك للمذابح التي قام بها السيسي وجيشه.

www.ikhwanonline.com/article/239381